مقدمة

يولِّد اسم جورج. اس. باتون شعورين مختلفين لدى المدراء والتنفيذيين، استخفاف تام أو مديح مفرط. الاستخفاف يعيد إلى الأذهان «حادثة الصفعة». عندما أقدم باتون، أثناء زيارة الجرحى في مستشفى ميدان على تقريع أحد الجنود وصفعه مطيحاً بالخوذة من فوق رأسه لأنه لم يكن يشكو من أية جراح سوى تعب المعركة.

وصرح باتون بأنه لا يريد «جبناء» في جيشه (في الواقع كانت هناك حادثتان ولكن الناس لا يذكرون إلا واحدة). خلاف هذه الحادثة ليس هناك من ذم محدد يوجه إلى باتون سوى «تكبُّره» و«غروره» وأنه «لم يكن محبوباً من قبل رجاله» أو أنه كان يشتم كالعساكر.

يسارع أولئك الذين يعجبون بباتون إلى الاعتراف بهذه الأخطاء، إلا أنهم يشيرون إلى أنها أسهمت في جعله قائداً فذاً. وإذا كان قد صفع جندياً، وذاك حتماً خطأ، فذلك لأنه رأى ذلك ضرورياً لمعنويات الجنود الآخرين. وإذا كان قاسياً، فالحرب قاسية. ولا بد للقادة من القسوة. صحيح أنه كان يقود جيشه بشدة وصرامة، وكان له أعداء كثر بين زملائه ومرؤوسيه، لكنه كان يقدم نتائج. وقد كان متكبراً فعلاً، ولكن في بعض الأحيان لا بد للقائد الجيد أن يكون أكبر من الحياة. وهكذا.

ولكن الحقيقة هي أن المعجبين بپاتون ليسوا أكثر إفصاحاً في مديحهم من منتقديه في ذمهم. والأرجح هو أن الجانبين قد رسما صورة پاتون من الفيلم الخارق الذي حاز على سبعة أوسكارات ولعب فيه جورج سكوت دور الجنرال. وهذا ليس بالأمر السيِّىء. فقد كان پاتون فيلماً جيداً، لم يترك لغرانت أو أيزنهاور أو حتى شوارزكوف أو كولين پاول أية شهرة تذكر. وقد مات پاتون عام 1945، بعد حوالى نصف قرن على الحرب التي خاضها، وبالرغم من ذلك ما زال ذكره يولد ردود فعل قوية مؤيدة ومعارضة.

ردود عاطفية، وقوية إلا أنها غامضة وغير محددة. ولا تلامس ما جعل پاتون جديراً بالذكر. فما الذي جعل پاتون جديراً بالذكر؟

- كان أكبر مهندس أسس ونظم الحرب المؤللة (استخدام «الدروع» أي الدبابات) وملك ناصية تكتيكها.
- تفوق پاتون على جميع زملائه، في مناورات التدريب العسكري الأكبر والأعلى طموحاً في تاريخ الجيش الأمريكي عشية دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية، وأثبت أنه شكل قوة مقاتلة أكثر فعالية من أية قوة شكلها الآخرون.
- جعل پاتون من قوة أمريكية مهزومة ومنهارة معنوياً في شمال إفريقيا جيشاً قادراً على إلحاق الهزيمة بالجنرال النازي

اللامع أروين روميل، ثعلب الصحراء المهاب الجانب.

- غزا پاتون صقلية بسرعة صارخة بزت الجنرال البريطاني السير برنارد لو مونتغمري نفسه، وبأقل عدد ممكن من الخسائر مقارنة بالإنجاز الذي حققه.
- تقدم پاتون، كقائد للجيش الثالث، عبر فرنسا إلى ألمانيا، بسرعة خطيرة إلى أبعد الحدود، فأباد من الأعداء وحرر من المدن أكثر من أية وحدة أخرى في الحرب العالمية الثانية، أو في تاريخ آلة الحرب الأمريكية.
- وأثناء هذا التقدم، عندما هدد هجوم ألماني بمسح الوحدة (101) المحمولة جواً وسواها من الوحدات (معركة البالج The battle of the Bulge)، قام پاتون بمعجزة فحول قواته المنهكة إثر مسير لمدة ثلاثة أشهر في معركة متواصلة، 90 درجة شمالاً لتشن هجوماً معاكساً جريئاً على الخاصرة الجنوبية للجيش الألماني. وهكذا تحولت معركة البالج نصراً أمريكياً.

كيف استطاع پاتون تحقيق هذه النتائج؟

هذا الرجل الذي طالما اتهم بالزهو والغرور، كان دائماً أول من يقول إن نجاحه لم يتحقق بفضله هو وإنما بفضل جيشه، لقد درب، وحفز، وقاد قواته إلى استعراضات متميزة من الأداء والإنتاجية. لقد كان پاتون مديراً خارقاً.

وكان النقد الذي يوجهه الذين يستخفون بپاتون صحيحاً.

فأخطاؤه الكثيرة تجعله بشراً يسهل النيل منه. والحقيقة هي أنه كان يعاني من متاعب يعترف بها حتى أقسى نقاده. لكن باتون استطاع بالرغم من مشكلته في عسر القراءة، أن يجتاز الصعاب الأكاديمية في الكلية العسكرية الأمريكية ويست بوينت West point، ومثل كثير من أبناء جيله من النساء والرجال كان باتون متعصباً وعنصرياً، إلا أنه وحد جيشه الثالث عنصرياً، في الوقت الذي طبقت سياسة التمييز العنصري بصرامة على بقية القوات المسلحة الأمريكية (ما عدا البحرية لحد ما). لقد كان محافظاً عنيداً يقدس التقاليد، لكنه كان الأكثر إبداعاً بين القادة والبطل الرائد في الجيش بتفوقه في فن الحرب المؤللة.

إن مواطن ضعف باتون البشرية، أو بتعبير أصح، كيف تغلب عليها واستغلها، تجعله أنموذجاً في الإدارة وأسلوبيتها أكثر من واشنطن أو لينكولن، اللذين يبدوان في مصاف يفوق أبناء البشر الآخرين.

وأي مدير مسؤول عن إدارة شركة أو دائرة أو يشرف على سواه بأي شكل من الأشكال يستفيد من قراءة أي شيء حول جورج. اس. باتون. والمشكلة هي أن باتون لم يكتب كثيراً عن نفسه (بالرغم من أن ما كتبه كان صفوة مختارة بعناية) بينما كتب الآخرون الكثير عنه. فإذا كنت مديراً تحمل مسؤوليات كثيرة، فإن وقتك لا يسمح لك بالقراءة، وخاصة البحث عن مادة جيدة عن باتون. هذا الكتاب يقدم لك ما تريد. فهو يضم أهم أقوال باتون في القيادة، إضافة إلى ما لمسه الآخرون،

الذين عرفوا باتون وعملوا معه، من أسلوب وتكتيك قيادي تميز به.

وقد قسم الكتاب، لسهولة التناول، إلى عشرة أقسام. يقدم القسم الأول تعريفاً بباتون الرجل وباتون القائد العسكري. فيما تعالج الأجزاء التسعة الباقية موضوع القيادة كفكرة أساسية، وتقدم أفضل ما لدى باتون في مجالات:

- أبعاد القيادة.
- تطوير موقف رابح.
- الحصول على الحقائق ووضع الخطط.
- التنفيذ وتحيُّن الفرص.
- النصح، والتحفيز، والإلهام.
- الاتصال والتنسيق.
- إبداع الكفاءة.
- الشجاعة والشخصية.
- إدارة المستحيل.

معظم «الفصول» الوجيزة في هذه الأجزاء التسعة تتألف من قول لباتون أو عنه، يتبعه نقاش عما يفيدنا ذلك القول في الإدارة والقيادة. وتقدم الأجزاء، بمجموعها دروساً موجزة في الإدارة والقيادة، يستطيع جميع المدراء استخدامها وتطبيقها مباشرة من أجل:

- تطوير موقف قيادي.
- تطوير مهارات قيادية.

- تطوير صورة قيادية.
- تطوير وإظهار حيوية شخصية.
- إتقان التعامل بالكلمات.
- إتقان التعامل بالإيماء (بلغة الجسد).
- وضع الأولويات.
- تحديد الأهداف.
- شحذ إمكانات الآخرين.
- التأثير في الآخرين أخلاقياً.
- زرع الولاء.
- بناء فريق عمل.
- حل النزاع بمهارة.
- أن يكون مرشداً ومدرِّباً فاعلاً.
- أن يقود بالقدوة مع استخدام الحد الأدنى من سلطة المدير.
- زرع ورعاية الفكر الإبداعي لدى الآخرين.
- معرفة «العدو» (منافسك).
- إبداع إنتاج متميز.
- إبداع الحد الأقصى من الأداء.
- إبداع نوعية متميزة.

لست مضطراً لقراءة كتاب پاتون وفن القيادة من الغلاف إلى الغلاف. اختر الموضع الذي تريد، بالرغم من أني أوصيك بالبدء من الجزء الأول: «ماذا فعل ومن هو» كمدخل يعطي مزيداً من المعنى لمضمون الأجزاء الأخرى من الكتاب.

تصدير

للمرء أن يتساءل لماذا اختير جورج شتاينبرينر صاحب النيويورك يانكيز New York Yankees لكتابة تصدير لهذا الكتاب، پاتون وفن القيادة فقد كنت في عمر 15 عاماً عندما مات الجنرال پاتون.

ربما لأن المغفور له هوارد كوسيل الشهير كثيراً ما كان يلقبني «پاتون مرتدياً شرائطه» في التلفزيون الوطني، أو ربما لأنني كنت في كلية كالڤار العسكرية Culver Military Academy عندما كنت شاباً، وتخرجت منها بسجل أكاديمي لا يشرف أبداً ما عدا في العلوم العسكرية، حيث كنت من الطلاب النوابغ. أو ربما لأنني عندما كنت ملازماً في سلاح الجو في الخمسينات، بعد عشر سنوات على رحيله، كنت أعتبر جورج. اس. پاتون أحد أفضل القادة العسكريين الأمريكيين، ولأني اليوم، كطالب في القيادة العسكرية، جيدها وسيئها من فريدريك العظيم Fredrick the Great مروراً بأمثال كاستر Custer، وغرانت Grant، وحتى سيتينغ بول Sitting Bull، وكريزي هورس Crazy Horse، وآخرين، كنت أعتبر الجنرال جورج. اس. پاتون، بكل تناقضاته، ومزاجيته، وتقلبه، الأعظم بينهم جميعاً «المحارب المطلق».

عندما قرأتُ عن پاتون لأول مرة، صدمت بحقيقة أنه كان يحرك قواته أبعد وأسرع مما يعتقد أي شخص ذلك ممكناً وبعدد قليل جداً من الإصابات. وعندما استزدت في القراءة حول استراتيجيات قيادته - كيف حقق هذه النتائج المرموقة- ازددت تأثراً. كانت الثقة التي زرعها في جنوده أسطورية. فقد كان الرجال تحت إمرته يعتبرون أنفسهم «رجال پاتون» كانوا يبدون أكثر حدة، ويقاتلون بشكل أكثر ضراوة. وكانوا يستدعون مراراً وتكراراً لأداء يفوق الحدود. وطالما قيل إن قواته تحقق المستحيل، ثم تعود فتكرر ما فعلت. ربما لم يقدر «رجال پاتون» أسلوب قيادته في أوانها. فالطبيعة البشرية تجعل النظام والطاعة اللذين يتطلبهما قائد عظيم سبباً للتذمر والاستياء. ولكن نظرة إلى الوراء تجعل الشخص الذي خدم بإمرة پاتون يشعر بأنه يحمل وسام الشجاعة أبداً.

عندما تتحدث عن البيسبول ويقول رجل متقدم في العمر: «إنه لاعب سابق في ـ الرابطة الرئيسية،المجيور ليغ Major League» فذلك أمر. لكن إذا كان ذلك الشخص يانكي، فإنه سيقول: «لقد كنت في نيويورك يانكي» وليس مجرد لاعب في الرابطة الرئيسية. وقد كتب أحد كبار المحررين الرياضيين من بيتسبورغ: «ليس هناك أي يانكي سابق. لأن شرائطهم تضمن لهم حضوراً دائماً» والشيء نفسه ينطبق على رجال پاتون. فلهم حضور دائم لأنهم خدموا مع واحد من أكبر الجنرالات الذين عرفتهم هذه الأمة. أنا كثيراً ما أتحدث مع رفاق لي خدموا في

الحرب العالمية الثانية. ولطالما سمعتهم يقولون إنهم خدموا في الجيش الخامس أو الجيش الأول، أو في الفيليبين، أو أوروبا. ولكن إذا كان واحدهم من «رجال پاتون» فإنه يقول بوضوح: «لقد خدمت مع پاتون». وذلك يختصر كل شيء.

ما زالت دروس پاتون في القيادة صحيحة اليوم كما كانت عندما قاد الجيش الثالث عبر فرنسا وداخل ألمانيا نفسها. ورسالته المبدئية في الاستعداد، والعمل الجماعي والفخر، والدافع والانضباط - ألاّ يطلب من رجاله عمل شيء لا يقوم به هو. تشكل هذه المبادئ أساساً قوياً لقيادة جيش ناجح أو أي عمل آخر. والنتيجة قد لا تكون الموت أو الحياة كما هو الحال في الحرب، لكن استراتيجيات الجنرال پاتون ما زالت سديدة وقادرة على مساعدة المدراء والقادة في جميع أشكال المنظمات على تحقيق نتائج رابحة.

كان پاتون قادراً على إرجاع المهام المعقدة إلى جوهرها، ثم تركيز جميع إمكاناته على ذلك الجوهر. وكان يؤمن بالاهتمام بكل تفصيل. عليك أن تضع كل شيء في مكانه، وتعطي عناصرك كل فرص النجاح، وسينجحون. حدد للناس أهدافاً يفهمونها، فيحققوها. ارفع سوية الأداء تجد الناس يتطاولون للوصول إليه.

قاد پاتون رجاله بسرعة وقوة، إلا أنه كان يعرف أيضاً حدود إمكاناتهم. وما كان ليدفعهم وراء تلك الإمكانات، لأن

في ذلك هدراً أخرق للقدرات يؤدي إلى الفشل الذريع. ففي لعبة البيسبول إذا كان بإمكان الرامي أن يعطيك ست جولات ثم يبدأ بالتقهقر بعدها، فما جدوى محاولة إجباره على الرمي مباراة كاملة.

وبالرغم من أن بعض الذين ينتقصون من قدر پاتون يقولون إنه «متهور»، إلا أنه في الحقيقة كان مخططاً دؤوباً وحذراً. كان تلميذاً لمعارضيه وقائداً لهم. وقبل اتخاذ أي قرار كان يجمع كل المعطيات. ويطلب نصيحة ومشورة الخُلّص. كان يدرس المهمة الموكلة إليه من زوايا عديدة، محاولاً رصد مساوئ ومحاسن استراتيجيات مختلفة. وأذكر بوضوح في الفيلم العظيم پاتون (الذي شاهدته ما لا يقل عن عشرين مرة) عندما كان پاتون بصدد التغلب على ات رومل المتبجحة في شمال إفريقيا. في ساحة المعركة. يصيح جورج. سي. سكوت الذي أدى دور پاتون، عندما بدا النصر أكيداً: «آه يا رومل، أيها الوغد الرائع، إني أقرأ كتابك». هذا هو پاتون تماماً. لقد درس واستعد، وبفهمه معارضيه لم يكن ليعيد النظر أو يعبِّر عن أي شك أمام الآخرين بعد أن يتخذ القرار.

وقد قال پاتون مرة: «الأمريكيون لا يقدمون على أمر إلا ليفوزوا. وما كنت لأعطي شبراً في جهنم لرجل خسر فضحك». وبالرغم من الفارق الكبير بين البيسبول والحرب إلا أني أريد من فريقي ألاَّ يلعب إلا ليكسب، وأن يتوقع الفوز منذ بداياته في عضوية الفرق اليافعة، كي يطور موقفاً رابحاً في

ثرات فرق اليانكي الكبيرة في الماضي والحاضر. وإياكم أن تدعوني أمسك شخصاً من فريقي متلبساً بالضحك في حجرة الأدراج المقفلة بعد خسارة كبيرة. وأستطيع أن أرى أوجهاً كثيرة للشبه بين فلسفة الجنرال باتون ومدرب كرة القدم الكبير ڤينس لومباردي Vince Lombardi الذي قال: «إن الفوز ليس أمراً طارئاً، إنه شأن دائم. فأنت لا تفوز بين مرة وأخرى، ولا تؤدي أداء جيداً بين وقت وآخر، وإنما أنت تقوم بعملك بشكل صحيح دائماً. فالفوز عادة. كما أن الخسارة أيضاً عادة، لسوء الحظ».

وأنا أعرف من خبرتي الخاصة أن كثيراً من كبار لاعبي لومباردي، في أوقات الحملات، كانوا يكرهون قيادته وعبقريته. وقد قال هنري جوردان قلب دفاع باكرز الشهير: «لقد كان يعاملنا دون اكتراث مثل الكلاب. ولكن الآن بعد أن فازت فرق باكرز العظيمة تلك بالبطولة فإياك وتحدي المدرب لومباردي بالاعتراض على أي من لاعبيه السابقين. وإذا فعلت فإنك لا شك نادم».

تعتبر دروس باتون في القيادة إرشادات قيّمة يمكن للمدراء في شتى المسالك الإفادة من تطبيقها، من ملعب البيسبول إلى وحدة التصنيع إلى مجلس إدارة الشركة. ولا ينتابني أدنى شك في أن باتون، بالرغم من العدد الكبير من منتقديه، كان ما نسميه في عالم الرياضة «الكابتن». فعندما تكون لعبه الكرة أو المعركة على الحد الفاصل وتبدو العقبات التي تعترضك عصية

لا يمكن تجاوزها، فإن الرجل الذي تتطلع إليه هو كابتن فريقك. وما من شك في أن الجنرال جورج. اس. باتون كان كابتن الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وربما كان الأعظم في تاريخ العلوم العسكرية. وأعتقد أنك ستشعر بالحماسة التي شعرت بها في قراءة هذا الكتاب ودراسة العبقرية الحقيقية للجنرال جورج. اس. باتون.

جورج . ام . شتاينبرينر الثالث

المالك الأول للنيويورك يانكيز

1

ماذا فعل
وأي شخص كان

إنجازات باتون وبيئته

،انتم تعرفون شعوري

سأكون فخوراً بقيادتكم

أيها الأولاد الرائعون إلى المعركة

في اي زمان ومكان،

پاتون معلِّم الإدارة

بما أنك قد اخترت هذا الكتاب، فإني أستطيع أن أفترض أنك مهتم بحياة وسيرة جورج سميث پاتون الابن، وخاصة ما تستطيع حياته أن تعطي لحياتك من معنى. فإذا كنت فعلاً مهتماً بپاتون، أرجح انك قد شاهدت جورج. سي. سكوت يمثل دور الجنرال في فيلم پاتون فقد عرض الفيلم منذ عام 1970، وربما تكون قد شاهدته أكثر من بضع مرات. في هذه الحالة، لا بد أنك تذكر المشهد الأول في مطلع الفيلم.

يملأ الشاشة عَلَمٌ أمريكي كبير. ويسمع صوت خطوات، ويصعد پاتون، خطوة خطوة، ليعتلي مسرحاً أمام العلم. تتعرض الكاميرا تفاصيل بزته الرائعة، بذلة تزدحم عليها الشرائط والميداليات. ثم تنتقل الكاميرا إلى وجه جورج. سي. سكوت ـ الذي يشبه پاتون تمام الشبه ـ ممثل اختزنت مهاراته ما كان الجنرال دائماً يسميه «وجهه الحربي»، سحنة مقاتل قُدَّت من صخر لا تعرف الابتسامة، اعترف پاتون بأنه كان يتدرب يومياً أمام المرآة للحفاظ عليها.

يعتبر فيلم پاتون الذي كتب حواره فرانسيس فورد كوپولا Francis Ford Coppola وإدموند هـ. نورث Edmund H. North وأخرجه فرانكلين شافنر Franklin Schaffner، واحداً من أعظم

أفلام السيرة، ليس فقط بسبب الجانب الفني للفيلم أو التزامه بروحيّة موضوعه، وإنما لدقته التاريخية أيضاً. اقرأ ما كتب عن باتون من قبل الذين كانوا يعرفونه، وكتاب سيرته، تلمس فوراً أن معظم الحوار كان مستقىً من كلمات باتون نفسه في المشهد المؤثر في بداية الفيلم، يقدم سكوت خطاباً ألقاه باتون مرات عديدة، بأشكال عديدة ـ لكنه لم يعتمد يوماً على ملاحظات مكتوبة ـ في الأيام الممتدة من مارس/آذار إلى يوليو/تموز 1944، استعداداً لليوم المحدد للإنزال في النورماندي. وقد اقتبست النسخة المقدمة هنا من جيوش جورج باتون The Armies of George Patton لجورج فورتي George Forty:

> أريدكم أيها الرجال أن تتذكروا أنه ليس لأي ابن زانية أن يكسب حرباً بأن يموت من أجل بلاده. وإنما بأن يجعل الغبي الآخر يموت من أجل بلاده. وكل هذا الكلام الذي سمعتموه عن عدم رغبة أمريكا بالحرب، ورغبتها بالبقاء خارجها، ما هو إلا هراء. فالأمريكيون يحبون القتال. جميع الأمريكيين الحقيقيين يحبون لسعة المعركة. عندما كنتم صغاراً كنتم جميعاً معجبين ببطل رمي الكرة، وبطل الجري، وأكبر لاعب كرة، وأعنف ملاكم. الأمريكيون يحبون الفائز ولا يطيقون الخاسر. الأمريكيون يلعبون دائماً كي يربحوا. وما كنت لأعطي رقعة من جهنم لرجل خسر فضحك. لهذا لم يخسر الأمريكيون ولن يخسروا أي حرب. ففكرة الهزيمة يكرهها الأمريكيون. والجيش فريق يعيش ويأكل وينام ويقاتل كفريق. وما حديث الفردية إلا هراء. وأولاد الزنا الذين يكتبون عن التفرد في عدد السبت من الإيفننغ بوست لا يعرفون عن المعركة الحقيقية أكثر مما يعرفون عن المضاجعة.

نحن لدينا أفضل الطعام والمعدات، أفضل المعنويات وأفضل الرجال في العالم. وأنا أشعر بالشفقة تجاه أولاد الزنا المساكين الذين نتطلق لمواجهتهم. فنحن لن نطلق النار على أولاد الزنا فحسب وإنما سنخرج أحشاءهم اللعينة لنستعملها زيتاً لجنازير دباباتنا. سنقتل أولاد الزنا الجبناء القذرين أكداساً مكدسة.

يتساءل بعضكم أيها الرجال عما إذا كنتم ستفقدون أعصابكم تحت النار. لا تخافوا أستطيع أن أؤكد لكم أنكم جميعاً ستقومون بواجبكم. النازيون أعداؤنا. اكتسحوهم. أريقوا دماءهم. أطلقوا النار على بطونهم. وعندما تضعون يدكم داخل حدبة لزجة كانت قبل لحظة وجه أعز أصدقائكم ستعرفون ما يترتب عليكم أن تفعلوه. وهناك أمر آخر أريد أن أذكركم به. لا أريد أية رسائل تقول إننا نحافظ على موقعنا. فنحن نتقدم باستمرار ولسنا حريصين على الإمساك بأي شيء سوى العدو. سنمسك به في أكثر المواقع حساسية ونريه الويل طوال الوقت. سنخترقه كما تخترق الفضلات الإوزة.

شيء واحد فقط ستقولونه أيها الرجال لدى عودتكم إلى الوطن. بعد ثلاثين سنة من الآن، عندما يجلس واحدكم قرب المدفأة ويسأله حفيد يجلس على ركبته: «ماذا فعلت يا جدي في الحرب العالمية الثانية؟» فإنه لن يضطر لان يتململ في جلسته ويسعل ويقول: «كنت أرفع القاذورات بالرفش في لويزيانا».

لا يفترض بي أن أكون آمراً لهذا الجيش. ولا يفترض أن أكون في بريطانيا. فليكن الألمان أول أولاد حرام يكتشفون ذلك. أريدهم أن يرفعوا رؤوسهم ويصرخوا «آخ، إنه الجيش الثالث اللعين وباتون ابن العاهرة مرة أخرى!».

«حسناً يا أولاد العاهرات، تعرفون ما أشعر به. إن من دواعي

فخري أن أقودكم أيها الرجال الرائعون إلى المعركة في أي زمان ومكان وهذا كل ما لدي».

بغض النظر عن أهميته التاريخية، لماذا نقرأ هذا الخطاب الآن؟ ما من شك في أنه واحد من أكثر خطابات الحرب العالمية الثانية إثارة للحمية. ولكن ماذا يستطيع أي مدير أن يتعلم منه؟

هناك نقطة لا بد لنا من استبعادها فوراً. فما من شك في أن اللغة التجديفية في هذا الخطاب لا تليق بأي مكان عمل عصري. وحتى إذا لم تتجه المصادر البشرية إلينا بالعتب وهي ترغي وتزبد، فإن قلة منا تميل إلى استخدام الكلمات التي استخدمها باتون هنا. (وفي خرق نادر للسجلات التاريخية استبدل صانعو فيلم باتون كلمة الزنا بكلمة أخرى أنغلوساكسونية من مقطع واحد فاه بها باتون أصلاً).

لنبدأ باللغة وننظر وراء الكلمات البذيئة. تتميز لغة خطابه بالجرأة. لغة مباشرة. صريحة. وفي ضوء الجمهور والمهمة التي تنتظره تعتبر اللغة في الحقيقة عالية التأثير. وإذا أمكن إرجاع أسلوب باتون في القيادة إلى صيغة مفردة، فإنها ستكون مزيجاً من الحضور الآسر واللمسة المألوفة. لقد عرف باتون، ببزته الرائعة ووجهه الحربي الصارم، كيف يضع نفسه فوق الذين يقودهم وبمعزل عنهم، ولكن ليس إلى الحد الذي يجعله مختلفاً عنهم. كان دائماً يتحدث عن «القتال إلى جانب» رجاله. وكان يعني ما يقول.

إذا تجاوزنا صدمة اللغة التجديفية ونظرنا إلى مطلع الخطاب، نجد أنه يستقطب الاهتمام لأنه يتناقض تماماً مع جميع ما يتوقع الجنود في جميع الجيوش أن يسمعوه منذ أيام الشاعر الروماني هوراس (65 ـ 8 ق.م) الذي كتب: «لا أحلى ولا أرقى من الموت من أجل الوطن».

فيما يقول باتون: «لم يكن لأي ابن زانية أن ينتصر في حرب يموت فيها من أجل وطنه. وإنما ينتصر بأن يجعل ابن الزانية المغفل الآخر يموت من أجل وطنه».

بهذه العبارة يدخل باتون مرحاً يجلجل بالحقيقة. ويدع جنوده يعلمون أنه لا يريدهم أن يموتوا. فما جدوى موتهم؟

لكنه يريدهم أن يقتلوا ويرسل رسالته بدقة تستقبلها الشخصية الصلبة التي تنتابها الشكوك التي طالما ارتبطت بالجندي الأمريكي:

إننا جميعاً أولاد حرام مغفلين. إلا أن باتون يرفع هذه الشخصية أيضاً، ويستخدمها ليحفز التصرف الذي يريد والمهمة التي يطالب بتنفيذها. مع جملته الأولى تتلاشى الأوهام التي تضفي على الحرب هدف «المجد» أو «التضحية» ليصبح موضوعاً عملياً ملحاً وفردياً يتعلق بالبقاء والنصر.

وإذ تتابع قراءة الخطاب تجد باتون ينتقل في المرحلة الثانية ليعطي جمهوره هوية. إنهم أمريكيون وماذا يعني أن يكونوا أمريكيين.

يشرح باتون ذلك بطريقة يستطيع هؤلاء الشبان فهمها. فيتحدث عن بطل رماية الكلة Champion marple shooter وبطل الجري، وأكبر لاعب كرة في الرابطة، وهكذا إن باتون يعرف جمهوره ـ صبية في أواخر مراهقتهم وبداية العشرينيات من العمر. ولا بد أن يكون قد سأل نفسه: ما هي خبرة هذا الجمهور؟ إن خبرته لا تتعدى حدود الصبية.

من هنا يحول باتون الفكرة المحيرة لجيش هائل ضالع في معركة عالمية إلى شيء يستطيع أولئك الصبية فهمه، وهي فكرة الفريق.

والآن يتابع الجنرال ليقول إن ما أعطاه الاسم (الذي يكرهه): «شيخ الدم والأحشاء» Old Blood and Guts. فيتحدث عن تمزيق أحشاء العدو واستخدامها لتشحيم جنازير الدبابات. إنه يتحدث عن أمر لا يقل وحشية عن القتل الجماعي.

تلك هي حقائق الحرب، وقد أراد باتون قبل أي شيء آخر أن تواجه قواته الحقيقة. ولكن لاحظ أنه أتبع قوله ذلك مباشرة بتأكيدات أن هؤلاء الصبية ـ الذين كانوا منذ فترة بسيطة يسددون ضربتهم إلى كرات البلى وليس إلى بني البشر ـ قادرون في الحقيقة على تنفيذ ما يطلب منهم. وليس هناك أي ظل من الشك في الطريقة التي يطرح باتون ذلك:

> أستطيع أن أؤكد لكم أنكم ستقومون بواجبكم. النازيون هم الأعداء. فهاجموهم. وأريقوا دماءهم. أطلقوا النار في بطونهم.

وعندما تضعون يدكم داخل حدبة لزجة كانت قبل لحظة وجه أعز أصدقائكم ستعرفون ما يترتب عليكم أن تفعلوه

إنه لا يقول «أنا أثق بكم» أو «أعتقد أن بإمكانكم تنفيذ هذا». وإنما يؤطر المهمة الدامية المرعبة، على شكل شيء سينفذ. ويضع الأمر في مصاف الحتمي.

والآن، تابع قراءتك للخطاب.

فبعد الجزم بأن المهمة الوشيكة حتمية لا بد من تنفيذها، يحمل باتون رجاله فجأة إلى بعد 40 سنة قادمة. ويرسم لهم صورة تركز قبل أي شيء آخر على بقائهم ليصبحوا جدوداً. والمسألة ليست مجرد البقاء، وإنما الراحة، البقاء الآمن، الذي يحدق به تحقيق إنجازات براقة مجيدة يتحدث باتون عنها بمرح الصدق الخاص. إنه لا يلف جمهوره بالعلم، ولا يقول لهم إن «تضحيتهم» تجعل العالم «مكاناً آمنا للديموقراطية» ولا يقول لهم بماذا يحدِّثون، أو يجب أن يحدِّثوا، أحفادهم وهم يستقرون على ركبتهم. إنما يقول لهم ببساطة ما الذي يجب ألاَّ يقولوه: «كنت أرفع القاذورات بالرفش في لويزيانا».

ويترك الباقي لخيال الفرد.

ويتميز المتحدث الذي يجيد التحفيز في قدرته على طرح الأفكار وكأنها لا تصدر عنه وإنما عن مستمعيه. وهكذا يقدم باتون رؤيته، ولكنه يفعل ذلك بطريقة تسمح لكل من يسمعه أن يجعل تلك الرؤية خاصة به. وهو بذلك يعطي كل شخص نصيباً

في المعركة القادمة. وينتهي الخطاب ببصمة باتون المخلصة. فقد كان للجنرال قدرة خارقة في التعبير عن مشاعر قوية دون تطرف. أعد قراءة تلك الفقرة الختامية القصيرة ثانية:

> «والآن يا أبناء الزنا، أنتم تعرفون شعوري. لي الفخر أن أقودكم أيها الأولاد الرائعون إلى المعركة في أي مكان وأي زمان».

ما كان لأي شخص سوى باتون أن يجمع بهذه الطريقة المؤثرة والفاعلة عبارتي «أنتم يا أبناء الزنا» و«أيها الأولاد الرائعون».

وهنا ينتهي الدرس.

حسناً. لقد استطاع جورج. اس. باتون أن يلقي خطاباً ممتازاً. كان له باع في الخطابة التحريضية يضاهي ديل كارينجي Dale Carnegie وويرنر ايرهارد Werner Erhard وطوني روبينز Tony Robbins مجتمعين.

كل هذا رائع. ولكن أنت مدير، لا علاقة لك بالخطابة الحماسية. فما الذي تستطيع أن تتعلمه من هذا الرجل، باتون؟

يقول لك باتون إن الطريقة الوحيدة لتقييم أداء أي قائد وطرقه هي النظر إلى النتائج. لننطلق من هناك. ما الذي حققه الجنرال باتون؟

أكثر ما يذكر باتون قائداً عاماً للجيش الأمريكي الثالث،

وهي منظمة تفاوت عديدها بين حوالى ربع مليون شخص إلى 437,860 لدى انتهاء حملتها يوم 8 مايو/أيار 1945. وقد أنفق ما بين أغسطس/آب 1944 و30 أبريل/نيسان 1945 مبلغ 240,539,569 دولاراً كرواتب في الفترة نفسها أدخلت 1,234,523 طناً من المؤن إلى منطقة الجيش الثالث بواسطة السكة الحديدية، والشحن البري، والجو. وضمن حدود الجيش الثالث نقلت 2,186,792 طناً من المؤن لمسافة إجمالية قدرها 141,081,336 ميلاً. وكان حوالى 3,655,322 عربة تحمل المؤن للقوات قد سجلت لدى 109 نقاط تنظم السير .

أما من ناحية الامداد فقد تم تسليم 533,825 طناً خلال 281 يوماً من المعارك ووصل عدد عربات المعركة إلى 7,581، إلا أن مصلحة المعدات في الجيش الثالث قامت بإصلاح 21,761 عربة ميدان خلال هذه الفترة. وخصصت حوالى 30,000 عربة لاستخدامات عامة للجيش الثالث.

وبنى مهندسو الجيش الثالث 2,498 جسراً من جميع المواصفات ـ وصل إجمالي طولها إلى 8,5 ميلاً. وأصلحوا أو أعادوا بناء 2,240 ميلاً من الطرقات و2,092 ميلاً من السكك الحديدية. ومدد سلاح إشارة المنظمة 3,747 ميلاً من الأسلاك المفتوحة و36,338 ميلاً من الكابلات تحت الأرضية. وكان عمال مقاسمه الهاتفية يجرون حوالى 13,986 اتصالاً هاتفياً في اليوم.

ونقلت عربات إسعاف الجيش الثالث 269,187 مريضاً وقام ضباط الجيش الثالث بإدارة الشؤون المدنية في بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا ولوكسمبورغ، إضافة إلى تأمين حكومات عسكرية لأجزاء من ألمانيا والنمسا، لتسيطر على حوالي 30 مليون نسمة.

إلا أن أبرز ما يذكر للجيش الثالث هو سجله العسكري. وتستهل الرواية الرسمية «تقرير الأعمال التالية للجيش الثالث» على الشكل التالي: «خلال تسعة أشهر وثمانية أيام من الحملة، ملأ الجيش الأمريكي الثالث سجلاً من العمليات الهجومية لا يمكن قياسها إلا بكونها الأعظم، لأن منجزات الجيش لم تقف عند إثارة دهشة العالم ولكن أعماله بلغة الأرقام فاقت الخيال».

كلف باتون برئاسة الجيش الثالث لدى تشكيله في يناير/ كانون الثاني 1944 ووصل إلى فرنسا يوم 6 يوليو/ تموز ليقود اندلاع الحرب من النورماندي، موقع إنزالات يوم الهجوم، عبر فرنسا وداخل ألمانيا. وخلال «تسعة أشهر وثمانية أيام» يتحدث التقرير أن جيش باتون الثالث حرر أو فتح 81552 ميلاً مربعاً في فرنسا، و1010 أميال في لوكسمبورغ و156 ميلاً في بلجيكا، و29940 ميلاً مربعاً في ألمانيا، و3485 ميلاً في تشيكوسلوفاكية و2103 أميال في النمسا. وقد حررت أو احتلت حوالى 12000 مدينة وبلدة وقرية، 27 منها كانت تضم أكثر من 50000 نسمة. إضافة إلى أنه أثناء هجوم الخندق الأخير الحماسي الألماني، الذي يسمى معركة البالج، عندما قطعت الفرقة 101 الأمريكية

المحمولة جواً وهدد تقدم الحلفاء، دوَّر باتون جيشه المرهق بأكمله 90 درجة إلى الشمال وشن هجوماً مضاداً ناجحاً بشكل ساحق وخلال فترة قياسية.

أسر الجيش الثالث 1,280,688 أسير حرب ما بين 1 أغسطس/آب 1944 و13 مايو/أيار 1945. وفقد العدو 47,500 قتيل و115,700 جريح ـ مع أسرى، أي برقم إجمالي للخسائر بلغ 1,443,888 ـ للجيش الثالث الذي أوقع 160,692 إصابة، من ضمنها 27,104 قتلى و86,267 جريحاً، و18,957 مصاباً، و28,237 مفقوداً ـ علم فيما بعد أن كثيراً منهم كانوا أسرى.

خلاصة الكلام هي أن الجيش الثالث بإمرة الجنرال باتون مضى أبعد وأسرع من أي جيش آخر في تاريخ الحروب.

ولم يفوت الجنرال باتون نفسه إية فرصة ليعترف بالفضل في نجاح حملته لمن كان يعتقد أنه يستحق ذلك الاعتراف وهو طاقم العاملين في الجيش الثالث. وقد حصل أعضاء الجيش الثالث على 19 ميدالية شرف، و291 صليب خدمات متميزة، و44 ميدالية خدمة متميزة، و4,990 نجمة فضية، و1,159 وسام استحقاق، و247 ميدالية جندي، و29,090 نجمامة برونزية. لكن باتون كان قائدهم. ولو اقتطفت نبذة الحقائق والأرقام المتعلقة بسيرة الجيش لأثبت قبل كل شيء أن قيادة هيئة بهذه الأبعاد الهائلة في مشروع كبير تحف به المخاطر ومرعب أنى نظرت إليه تتطلب إتقاناً كبيراً لفن الإدارة. فقد كان باتون الجنرال

العظيم هو باتون المدير البالغ البراعة. وليس من هيئة سوى الشركات الحديثة مثل جنرال موتورز General Motors (التي تضم 745000 موظف)، أو مخازن وال مارت Wal-Mart (675,000 موظف)، أو شركة بيبسي كولا (480,000 موظف) أن تدير عدداً من العاملين يضاهي العدد الذي كان بإمرة باتون عندما كان الجيش الثالث في أوج قوته. وقد قال باتون مرة: مقارنة بالحرب، ليس لجميع مسارات السعي البشري أكثر من أهمية باهتة. فلماذا لا نطلب العلم من أفضل منابعه؟

مؤسف جداً أن باتون لم يكتب أطروحة طويلة ككتاب عن فن القيادة، بالرغم من أنه ألف مذكرات بعنوان «الحرب كما عرفتها» قبل أن يتعرض لإصابة قاتلة في ما بدا حادث سير صغير يوم 9 ديسمبر/ كانون الأول 1945. عندما أدى تصادم بسرعة بطيئة بين سيارة طاقمه وشاحنة عسكرية إلى إلقاء باتون من المقعد الخلفي إلى الأمام فكسرت رقبته. وتوفي يوم 21 ديسمبر/ كانون الأول.

إلا أن الملاحظات اليومية لشخصية مندفعه وجريئة ومؤثرة وقوية ومتجددة كشخصية باتون لم تمر دون أن يلحظها أو يسجلها أحد. كما كان قلمه سيالاً في كتابة الرسائل والأوامر والمذكرات، التي تتضمن الكثير منها نفائس من الملاحظات والنصائح حول القيادة والإدارة.

يجمع هذا الكتاب «دروس» باتون في القيادة، مستقاة من كتاباته وملاحظاته وما قاله الآخرون عنه وعن طريقته في الأداء.

ولكن لا بد من كلمة تحذير. فكما يتضح من الخطاب المدرج أعلاه كان باتون شخصاً بعيداً كل البعد عن النمط التقليدي. لم يكن ليكيل الضربات والصدمات. وكان سعيداً بتناقضاته الشخصية. وعندما كان أي صحفي يعرف ما عرف عن باتون من لغة غير محتشمة يسأله عما إذا كان صحيحاً أنه قد قرأ الإنجيل. كان باتون يجيب: «كل يوم لعين».

قليل منا في موقع يخوله محاكاة شخصية باتون بكل تناقضاتها. وقليل منا يرغب في ذلك. إلا أن كثيراً من الذين خدموا بإمرته وصل إعجابهم به حدود التقديس. ومعظم الذين كان تقييمهم موضوعياً أسهبوا في مديحه. فقد قال الجنرال لوسيان تراسكوت Lucian Truscott إنه ربما كان «الأكثر حيوية، إلا أنه كان حتماً الأكثر تميزاً في قيادة معارك الحرب العالمية الثانية». كما قال كاتب السيرة العسكرية البريطاني هـ. إيسام H. Essame: «إنه بلغة الدم والحديد جسَّد العبقرية الوطنية التي رفعت الولايات المتحدة من بداياتها المتواضعة إلى وضع دولة عظمى: التوق لتحين الفرص واستثمارها لأقصى درجة، وسحق المعارضة بلا هوادة، وحب التفرد والابتكار وكل ما هو غير تقليدي، وإرادة الفوز مهما يكن الثمن، وبأقصر وقت ممكن». كما كتب المؤرخ إريك لاربي Eric Larrabee أن القائد يجب أن يكون قادراً على أن يفكر مثل الوحدة التي هو آمرها: جميع أسلحتها وإمكاناتها، والأرض التي يقف عليها، وواقع إمدادها وتدريبها ومعنوياتها ـ أي بتعبير آخر ما هي قادرة على

أدائه. وكل ذلك يجب أن يكون امتداداً لعقله. كان باتون يستطيع أن يفكر كجيش.

ولكن، مقابل كل المديح، فإن السلبيات يمكن تلمسها بسهولة أيضاً. فقد قال الناقد الثقافي دوايت ماكدونالد Dwight Macdonald: «إنه كان همجياً وهستيرياً، وفظاً ومتصنعاً، عنيفاً وبلا مضمون». ولم يخف آندي روني Andy Rooney من برنامج ستين دقيقة لتلفزيون سي. بي. اس: «إنه كان يكره باتون وكل ما يتعلق به. وقد استطعنا أن ننتصر في الحرب لأن الجنود أمثاله كانوا قلة. كان باتون ضابطاً أقل ذكاء من أي رجل التحق بالجيش أثناء الحرب. ويعود الفضل في نجاح جيشنا إلى المبادرة المستقلة للجندي العادي. وليس للإخلاص الأعمى لسلطة كان باتون يمثلها». وأخيراً هناك ما نسبه كارلو ديسته Carlo D'Este في سيرته: باتون عبقري حرب ولنصغ إلى أحد الجنود الذي قال عن الجنرال: «إنه متشدق متبجح، أرستقراطي بعقلية فاشية. وإذا قورن بأغلبيتنا الكئيبة فإنه يبدو في غاية الجنون».

اتخذوا جانب الحيطة إذاً إذ تقرؤون الفصول القادمة. لقد قدم باتون الراحة للشجاع وليس للضعيف. ولا تجدي الانتقائية في محاكاته. ولكن بالرغم من جميع مساوئه - وهي كثيرة - فقد كان باتون قائداً أنجز ما أوكل إليه، وبأقل قدر ممكن من الخسارة في الأرواح والأموال.

قصة حياة

ولد جورج سميث پاتون الأبن يوم 11 نوفمبر/تشرين الثاني 1885، في مزرعة وكروم والده في ريف لوس أنجلوس، الممتدة فوق ما هو اليوم مدينة باسادينا ومعظم المدينة الجامعية لجامعة لوس أنجلوس، كان صبياً ضعيف البنية، يحبه والداه أيما حب. وبتصميم متفرد الرأي بنى لنفسه جسماً قوياً وأصبح فارساً ورياضياً بارزاً. كان يحب القصص التي يرويها والده عن أسلافه في ڤيرجينيا، وكلهم من العسكريين المشهورين. حتى إن عم والده والتر تازويل پاتون، حارب ببسالة من أجل قضية الاتحاد أثناء الحرب الأهلية، وأصيب بجرح خطير في معركة بول ران الثانية Second Bull Run وبجرح مميت في عمر التاسعة والعشرين في هجوم پيكيت Pickett's Charge، أثناء معركة غيتيسبورغ Gettysburg. كما قاتل جورج سميث پاتون George Smith Patton، والد الغلام من أجل الاتحاد، وسقط في المعركة الثالثة في وينشيستر Winchester يوم 19 سبتمبر/أيلول 1864.

كان جورج الصغير صبياً واضح الذكاء، لكنه كان يعاني من صعوبة كبيرة في تعلم القراءة والكتابة. ولخشيته من سخرية رفاقه في الصف قام والداه بتعليمه في المنزل. في تلك الأيام لم

يكن هناك اسم لاضطراب التعلُّم الذي يسمى الآن عسر القراءة، وهي مجموعة معقدة من المشاكل في التعلم تتضمن القراءة والكتابة والإملاء إضافة إلى صعوبة التركيز وفرط النشاط، وتقلبات المزاج والشعور بالنقص.

يشعر الأشخاص الذين يعانون من عسر القراءة بالغباء وقلة الحيلة. لكن پاتون كان محظوظاً بوالدين محبين فعلا كل ما بوسعهما لتشجيع ولدهما، الذي أصبح عسر القراءة أول عدو يواجهه ويتطلع إلى الانتصار عليه. ناضل پاتون كي يتعلم القراءة وأصبح قارئاً نهماً للتاريخ، وخاصة التاريخ الحربي. وفي حين بقيت كتابته، حتى فترة متقدمة من العمر كثيرة الأخطاء، فقد تعلم پاتون أن يعبِّر عن نفسه بدقة وحيوية. وتعتبر مذكراته المقطعة عن الحرب العالمية الثانية «الحرب كما عرفتها» من الأكثر رواجاً بين النصوص التي كتبت عن الحرب من قبل أشخاص خاضوا غمارها.

شق پاتون طريقه بصعوبة في التعليم المنزلي ثم في مدرسة إعدادية خاصة، وقرر أن ينتسب إلى معهد ڤيرجينيا العسكري لمدة سنة استعداداً للالتحاق بكلية ويست بوينت العسكرية حيث درس من عام 1904 إلى عام 1909. وكانت سنوات من النضال الأكاديمي المكثف. ولما رسب في الرياضيات في الفصل الأول اضطر إلى إعادة جزء من السنة الأولى، لكن پاتون ثابر وأصبح نجماً رياضياً وطالباً عسكرياً مساعداً للضابط. وتخرج من البوينت في عام 1909 برتبة ملازم ثان.

خدم باتون بعد تخرجه في عدة مواقع عسكرية، وسرعان ما اشتهر بطاقته الكبيرة ومقدرته. وتنافس في الفريق الخماسي الأمريكي في أولمبياد 1912 في استوكهولم في السويد، حيث أظهر مهارة إفرادية في ألعاب التعاقب التي تضمنت سباحة 300 متر، وإطلاق مسدس، والجري 4000 متر، والمبارزة وسباق الحواجز لمسافة 5000م. وبالرغم من أن فوزه بالمرتبة الخامسة لم يكسبه ميدالية، إلا أن الصحف السويدية امتدحته، وقالت: «إن لديه طاقة أكبر من الخيال». وقالت: «إن مبارزته كانت «هادئة محسوبة وكان ماهراً في استغلال مواطن ضعف غريمه».

وقد كانت مهارات باتون في المبارزة فائقة حقاً. حتى إن الجيش اختاره للذهاب إلى مدرسة الفروسية الفرنسية في سومور Saumur ثم أرسل بعدها إلى الولايات المتحدة ليسجل في مدرسة ماونتد سيرڤيس Mounted Service School في فورت رايلي Fort Riley في كانساس Kansas عام 1913. وخدم بصفة موجه في فورت رايلي ما بين عامي 1914 و1916 وعين «معلم سيف» وأوكلت إليه مسؤولية كتابة دليل المبارزة الجديد في الجيش. كما عمل في دائرة المعدات ليصمم سيفاً جديداً للفروسية. وأطلق عليه رسمياً اسم السيف الأمريكي ام ـ 1913، إلا أنه سرعان ما أصبح يعرف باسم «سيف باتون».

كان الملازم باتون متشوقاً إلى المعركة. وفي عام 1916 خدم مع الجنرال جون جي «بلاك جاك» بيرشينغ Gen. John J «Black Jack» Pershing في «حملة تأديبية» ضد قاطع الطريق

الثائر بانشو فيلا. كان فيلا قد أعدم 16 مواطناً أمريكياً في المكسيك ثم هاجم مدينة كولومبوس في نيو ميكسيكو. أرسل الرئيس وودرو ويلسون Woodrow Wilson، بيرشينغ لتعقب ومعاقبة فيلا، ولكن بالرغم من أن بعض أعضاء الحملة ـ من ضمنهم باتون ـ اصطدموا مع أتباع فيلا، إلا أن الثوري الماكر لم يقع في قبضتهم، أعجب بيرشينغ بباتون الذي رفع إلى رتبة كابتن في عام 1917. في الوقت الذي اعتبر باتون بيرشينغ كمعلم، رأى فيه مثال ما يجب أن يكونه القائد.

وفي مايو/ أيار، بعد شهر من دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى يوم 2 أبريل/ نيسان 1917، وضع باتون في طاقم بيرشينغ وأرسل إلى فرنسا في أول كتيبة في قوات الحملة الأمريكية، وبالرغم من إعجابه الشديد ببيرشينغ إلا أن باتون كان يرغب بمهمة قتالية أكثر من عمل مكتبي، وأصبح أول ضابط أمريكي يتلقى تدريباً على الدبابة. وكانت الدبابات جديدة إذ ذاك، ولم تكن أهلاً للثقة لكنها كانت واعدة، ويسجل لباتون توقه إلى الإمساك بناصية ذاك السلاح الجديد. وبعد تدريبه الفروسي، إذ كان خبيراً في فن المبارزة القديم، انطلق باتون الآن لعناق المستقبل.

تعلق باتون بالدبابات فوراً، ولم يكد ينهي تدريبه حتى كلف بإعداد مدرسة للدبابات في لانغزيز في فرنسا في نوفمبر/ تشرين الثاني عام 1917، كي يدرب الآخرين ورفع مؤقتاً إلى رتبة ليفتنانت كولونيل، ثم إلى كولونيل، ونظم وقاد أول سرية

دبابات في المعركة الرئيسة ضد سانت ميهيل سالينت Saint-Mihiel Salient (12 ـ 17 سبتمبر/أيلول 1918)، التي جرح فيها. كما قاد پاتون الدبابات في موز آرغون Meuse-Argonne، في الهجوم الأخير في الحرب (26 سبتمبر/أيلول إلى 11 نوفمبر/تشرين الثاني).

ولدى عودته إلى الولايات المتحدة عام 1919 عاد إلى رتبة كابتن لكنه سرعان ما رقي إلى رتبة ميجور وأوكلت إليه قيادة كتيبة الدبابات رقم 304 في فورت ميد، ميري لاند Fort Meade, Mary land (1919 - 21) لكن جيش أيام السلام لم يبد اهتماماً بتطوير الدبابات فقرر پاتون العودة إلى الفروسية بعد أن عرض عليه منصب كبير في فورت ماير، ڤيرجينيا Fort Myer, Virginia حيث بقي من 1921 إلى 1922. وبعد تخرجه من مدرسة القيادة والأركان العامة بدرجة الشرف عام 1923، عين پاتون في الأركان العامة للجيش حتى عام 1927. وعندما سمي رئيس الفرسان في عام 1928، ترك ذلك المنصب ليسجل في الأكاديمية الحربية التابعة للجيش في عام 1932. وفي عقد الثلاثينيات رفع پاتون إلى رتبة ليفتنانت كولونيل (1934) ثم إلى كولونيل (1937) وبعد مهمة آمر الخيالة اختير آمراً للكتيبة المدرعة الثانية في عام 1940. وعندما رفع إلى رتبة بريغادير جنرال مؤقت ثم إلى جنرال مؤقت، أوكلت إليه قيادة الفرقة المدرعة الثانية في أبريل/نيسان 1941.

عندما لاح شبح الحرب في الأفق بدأت الولايات المتحدة التعبئة، وفي يونيو/حزيران نظمت مناورات حربية كبيرة في

تينيسي. ثم خطط لمناورات حربية أوسع ما بين شهري يوليو/ تموز وسبتمبر/ أيلول في لويزيانا وتكساس، أتبعت بمزيد من المناورات في الكارولينيتين أثناء أكتوبر/ تشرين الأول، ونوفمبر/ تشرين الثاني. وتجلت براعة پاتون في هذه المناورات فخرج ظافراً من ألعاب الحرب تلك بشكل لفت اهتمام رؤسائه.

لكن سرعان ما أصبح لدى پاتون مشاعر متضاربة حيال ما أبداه من فنون ملفتة. كان يتوق إلى القتال بعد بيرل هاربر (7 ديسمبر/ كانون الأول 1941)، إلا أنه لم يرسل فوراً إلى وراء البحار، وإنما كلف بما اعتبرته القيادة العليا عملاً أكثر أهمية وهو تأسيس مركز تدريب صحراوي قرب أنديو، في ولاية كاليفورنيا. فقد أدرك المخططون العسكريون الأمريكيون أنهم لن يقاتلوا في أوروبا أول الأمر، وإنما في شمال إفريقيا، ومن هناك يتم غزو صقلية، ثم الداخل الإيطالي. كما أدرك المخططون خاصة أن الجيش ليست لديه أية خبرة في القتال في الصحراء، خاصة بالدبابات. وتولى پاتون منذ 26 مارس/ آذار إلى 30 يوليو/ تموز 1942، مهمة تدريب الجيل الأول من مقاتلي الصحراء الأمريكيين.

برع پاتون في تدريب القوات بقدر البراعة التي سيبديها في قيادة المعركة. ولم تكن حماسته إلى خوض غمار المعركة أقل من حماسته للعمل في مركز التدريب الصحراوي. ولم يكن جنوده أفضل القوات انضباطاً في الجيش كله فحسب، وإنما أبدعوا وأتقنوا وتعلموا فنون المعركة الصحراوية.

وخلال شهر أغسطس/ آب ساهم پاتون في التخطيط لعملية

تورتش Opersation.TORCH، الإنزال الأمريكي في شمال إفريقيا. وترأس شخصياً قوة العمل الغربية Western Task Force في هذه الإنزالات، وذلك في 8 نوفمبر/تشرين الثاني 1942. في مارس/آذار من العام التالي دعي ليحل محل الجنرال ليود آر فريندال Gen. Lioyd R.Ferendal بعد أن مني الفيلق الثاني II Corps بهزيمة ساحقة في ممر كاسرين Kasserine Pass.

كانت الأزمة التي تسببت بها هزيمة كاسرين خطيرة. فقد كانت الهزيمة في اللقاء الأول بين الجيش الأمريكي والقوات الصحراوية الألمانية بقيادة الجنرال أروين رومل Erwin Rommel «ثعلب الصحراء» الشهير، ضربة قاسية لسمعة أمريكا العسكرية.

لدى وصوله إلى مقر قيادة الفيلق الثاني أدرك باتون مباشرة أن المشكلة مشكلة إدارة وقيادة. فقد كانت القوات مفككة تعوزها روح الانضباط، كانت مجموعة من الرعاع أكثر مما كانت جيشاً. ففرض باتون نظاماً صارماً بغرض تحقيق انضباط تام. وبدأ بفرض أنظمة تتعلق بالألبسة، ومن ضمنها ربطات العنق، والطماق والخوذ. علق الجنرال عمر. ن. برادلي Omar N.Bradley قائلاً: «كلما كان الجندي يربط ربطة عنقه ويعقد طماقه، ويعتمر خوذته الفولاذية كان لا بد له أن يتذكر أن باتون أصبح آمراً للفيلق الثاني، وأن أيام ما قبل كاسرين قد ولت وأن المرحلة القاسية الجديدة قد بدأت».

كانت تلك خطوة أولى نحو إشعار رجال الفيلق الثاني

بأنهم جنود كي يتصرفوا تصرف الجنود. وقد تمكن باتون، في وقت قصير جداً، من أن يحول الفيلق الثاني إلى تنظيم ظافر.

أدت شخصية باتون الصعبة إلى خلاف مع الحلفاء البريطانيين، ونقل من قيادة الفيلق الثاني إلى قيادة الفيلق المدرع الأول، الذي كان نواة الجيش السابع. وقاد باتون هذا التنظيم في غزو صعب تكلل بالنجاح لصقلية ما بين 10 يوليو/تموز و17 أغسطس/آب. وفي قمة انتصاره أتت الحادثة التي أساءت لسمعته أيما إساءة وما زالت.

يوم 3 أغسطس/آب، كان باتون فرحاً، إذ علم أن الجنرال أيزنهاور ينوي تقليده صليب الخدمة المتميزة، وذهب بعد ظهر ذلك اليوم إلى مستشفى الإخلاء الخامس عشر لزيارة الجرحى من القوات. كان باتون دائماً يشعر بالألم لتلك الزيارة، إذ كان يشعر أنه مسؤول عن إصابة الرجال. لكنه كان أيضاً يعتقد أن من واجبات القائد القيام بزيارات شخصية من ذلك النوع. وكان الجندي تشارلز هـ. كوهل Charles H. Kuhl بين الرجال المصابين بجراح خطيرة، لكنه كان يبدو سالماً من أية إصابة ظاهرة. فسأله باتون عن مشكلته فأجاب: «أعتقد أني لا أستطيع تحمل الحرب».

استشاط باتون غضباً، وشتم كوهل، ونعته بالجبان، وأمره بالخروج من خيمة المستشفى. تجمد الجندي المنهك من المعركة وتسمر في مكانه. فصفعه باتون على وجهه بالقفاز.

وشدَّه واقفاً من ياقة قميصه ورماه خارج الخيمة بركله على قفاه.

مرت تلك الحادثة دون أية تبعات، ولكن في العاشر من أغسطس/آب، مر پاتون أثناء زيارة لمستشفى ميدان آخر بضحية أخرى تشكو من تعب المعركة. قال الجندي پول جي بينيت Paul G.Bennett للجنرال: «أعصابي متعبة».

فسأله: «ماذا قلت؟»

«أعصابي متعبة. لم أعد أستطيع تحمل مزيد من القصف».

أجاب: «أعصابك! يا للجحيم، إنما أنت مجرد جبان لعين. عليَّ أن أطلق النار عليك بنفسي الآن». ومد يده نحو مسدسه ذي القبضة العاجية، وأخرجه من عقاله ولوح به في وجه الجندي المذعور. ثم سدد صفعة إلى وجه بينيت.

هذه الحادثة الثانية فجرت عاصفة من الانتقاد والغضب بين أوساط العامة والعسكريين، كادت تؤدي إلى إعفاء پاتون من القيادة. وكان أن أصدر أيزنهاور أوامره لپاتون ليقوم بجولة على جميع وحدات الجيش السابع ويعتذر عن الحادثة. فاعتذر بشكل شخصي لبينيت وكوهل، ولم يبد على أي منهما ما يدل على الاستياء مما فعله پاتون. حتى إن أحد شهود العيان قال: «إن وجه كوهل أشرق بابتسامة عريضة. وأمسك يد الجنرال وشد عليها بقوة. . . وكان موقفاً مؤثراً جداً».

إلا أن «الصفعة» أبعدت پاتون عن ساحة العمليات حتى يناير/كانون الثاني 1944، عندما أرسل إلى إنكلتره وكلف بقيادة الجيش الثالث الذي شكل حديثاً. وأثناء وجوده في إنكلتره

استخدم كثرك ليجعل الألمان يعتقدون أنه سيقود حملة ضد فرنسا ليس من شواطئ النورماندي وإنما عبر مضيق دوڤر. وانطلت الحيلة وأمر هتلر القسم الأكبر من القوات الألمانية بالتركيز على دوڤر بدل النورماندي، حيث كان اليوم المحدد للإنزال.

بعد الإنزال وصل پاتون إلى القارة الأوروبية ليقود الهجوم من نورماندي عبر فرنسا. كانت تلك أيام عز پاتون كما كانت فصلاً رائعاً في تاريخ جيش الولايات المتحدة. في المقدمة قلنا إن الحملة: كانت «تقدماً عبر فرنسا إلى ألمانيا لم يسبق له مثيل من ناحية الأراضي التي حررت أو احتلت، والمسافة التي تمت تغطيتها، وسرعة التنفيذ. وكما لو أن هذا لم يكن معجزة كافية فقد حول پاتون جيشه الذي يبلغ عديده حوالى نصف مليون رجل في نقطة حرجة ليقوم بمسيرة اضطرارية شمالاً إلى باستون، حيث أدى هجوم ألماني مفاجئ إلى حصار الفرقة 101 المحمولة جواً والتهديد بوقف تقدم الحلفاء داخل ألمانيا».

تقدم پاتون من يناير/كانون الثاني إلى مارس/آذار 1945 عبر الراين واندفع إلى أواسط ألمانيا وشمالي باڤاريا. وبحلول يوم النصر في أوروبا V-E Day، يوم استسلام الألمان في 8 مايو/أيار 1945، كان جيش پاتون قد تغلغل حتى لينز Linz في النمسا وبيلسن Pilsen في تشيكوسلوفاكيا.

بعد الانتصار في الحرب في أوروبا، أمل پاتون أن يرسل إلى الباسيفيكي للمشاركة في إنهاء الحرب ضد اليابان. إلا أن

القائد الأعلى لتلك الساحة، الجنرال دوغلاس ماك آرثر General Douglas Mac Arthur، لم يتحمل المنافسة من جنرال مثل باتون، فأوكل إلى باتون منصب الحاكم العسكري لباڤاريا، ولم تكن تلك المهمة ملائمة من قريب ولا من بعيد لذلك القائد الحربي. فأثار زوبعة في أوساط الصحافة والعامة بموقفه الناقد والمشكك والمشوه من الحلفاء السوفييت (فقد اعتقد أن الأفضل أن يحول الجيش الأمريكي ضد «الشيوعيين») ثم بتعيينه نازيين سابقين في مناصب إدارية في الحكومة الباڤاريا المؤقتة. وكان ذلك مناف تماماً لسياسة الحلفاء بمحاربة النازية، لكن باتون أشار إلى أن النازيين السابقين كانوا الأشخاص الوحيدين الذين يتمتعون بالتدريب والخبرة لإدارة الخدمات الحكومية الحساسة.

وفي أكتوبر/تشرين الأول 1945، أعفي باتون، وسط تنامي الاحتجاج والخلافات، من منصبه كقائد للجيش الثالث وكلف بقيادة الجيش الخامس عشر، وهو تنظيم «ورقي» في معظمه، كانت أبرز مهماته كتابة تاريخ الحرب في أوروبا. وبالرغم من إحباطه الشديد لتحول الأحداث على ذلك الشكل، إلا أن باتون تابع مهمته الجديدة بدأب وعناية إلى أن تعرض لإصابته القاتلة على الطريق قرب مانهايم Mannheim يوم 9 ديسمبر/ كانون الأول.

بعد وفاته ـ مباشرة ـ في مستشفى عسكري في هايدلبرغ Heidelberg يوم 21 ديسمبر/كانون الأول التف زملاؤه وأبناء أمته حول ذكراه كما لو أنهم أدركوا فجأة ما حققه باتون: ولم

يكن ذلك ليقل عن اقتحام كرأس حربة أدى إلى هزيمة ألمانيا النازية، وتحرير معظم أوروبا ووضع حد للإبادة الجماعية.

دفن جورج. اس. پاتون في هام في لوكسمبورغ تحت الغضار الأحمر الكثيف في آدرينيس، في قبر قرب قبور كثير من جنوده الذين قتلوا في معركة البالج Bulge.